صفحات العويل والغفران

بقلم: احمد الصراف

اعترف بانني من المغرمين بقراءة الملاحق الدينية لصحفنا المحلية، لا اعتقد بان ظاهرة الملاحق هذه موجودة في اي بلد بالعالم كما هي في الكويت، والقارىء لها يخرج بمجموعة من الانطباعات، يشعر اولا بان الامة الاسلامية في خطر، وان المصائب بانتظارها، والكوارث تحيط بها وان جميع حكومات وشعوب العالم، غير الاسلامي، يعملون ضد الاسلام وضد المسلمين!! وان المؤامرات ضد الاسلام والمسلمين مستمرة ولن تتوقف.

ويشعر القارىء ثانيا بان وجوه الشخصيات التي تفتي او تكتب في هذه الملاحق تتكرر وكأن «ليس في البلد غير هذه الوجوه!!» وتتكرر الاسئلة ذاتها، وخاصة في المناسبات الدينية، وينتاب القارىء لها شعور وكأن الوضع الاخلاقي في الكويت قد وصل الى الحضيض.

وتغلب على لغة الخطاب في هذه الملاحق الاغراق في الفصاحة والبعد عن الواقع المعاش، والكلام من فوق بروج عالية. ومن الامثلة على ذلك ما ورد في اجابة احد رجال الدين على مشكلة مواطنة، يبدو جليا من اسلوب سؤالها، وطريقة طرح مشكلتها، مدى تواضع مستواها التعليمي، حيث تتساءل في كتابها للجريدة عن حل لمشكلتها فهي لا تعرف شيئا عن احد ابنائها، وهو ليس بالاسير، ولم تبلغ عن غيابه احدا، ومطلقة جاوزت الثلاثين من العمر، لا عمل لديها حيث يطمع دائما من يود تشغيلها بجسدها، ولا تجد محاميا يدافع عنها حيث انها بغير عمل. مشكلتها واضحة وتخلو من اللبس والغموض، وبالرغم من ذلك اتت اجابة رجل الدين المعروف بالطلب منها معرفة سنن الحياة، وحقيقة الدنيا.. وعليها ان تتعامل مع السنن الكونية كما اراد الله.. وعليها بالصبر والمصابرة فالصابرون يوفون اجورهم بغير حساب يوم القيامة.. ويوصيها باللجوء الى الله والاكثار من الطاعات ومحاسبة النفس والابتعاد عن المحرمات والبحث عن الصحبة الصالحة وتكوين علاقات مع الاخوات الصالحات ففي صحبتهن تخفيف عن المشكلات!! ويقول لها إنها ان اخذت بهذه النصائح فان الكثير من مشكلاتها ستنجلي وتزول عنها الهموم. وتمنى لها في نهاية رده ان يعينها الله ويشرح صدرها ويجزل لها الثواب!!.

من الصعب التصور بأن صاحبة السؤال قد خرجت بالكثير من اجابة رجل الدين، واشك ان يعرف الكثير من المتعلمين والمثقفين «سنن الحياة، وحقيقة الدنيا» ومن الصعب على الكثيرين المطلعين العارفين «ادراك كيفية التعامل مع السنن الكونية» فاذا كان هذا حال الطبقة المتعلمة المثقفة، فما حال الناس العاديين الذين تبدو تلك المرأة منهم، كما يمكن استنتاجه من اسلوب رسالتها؟؟ اما كان من الاولى به، وهو الشخص المتنفذ، والعارف ان يدلها على احدى الجمعيات الخيرية العديدة التي يعرفها ليقوموا بدراسة حالتها وتقديم العون اللازم لها، بدلا من حديث السفسطة عن سنن الحياة وحقيقة الدنيا والسنن الكونية لامرأة مطلقة بلا عمل ومن غير معيل؟!.